وصايا لقمان فى القرآن الكريم
وأثر العمل بها
"دراسة موضوعية"

دكتور/ ماهر عيد على إبراهيم
الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع دعوته وسار على سنته إلى يوم. أما بعد،

فقد تحدث القرآن الكريم عن وصايا لقمان – عليه السلام – لابنه وهو يعظه في سورة لقمان وهي سورة مكية شأنها شأن السور المكية التى تدعو إلى الإيمان بالله عزّ وجلّ وإفراده بالعبودية والوحدانية وكما بينت السورة أن الغيب لله عزّ وجلّ فعنده علم الساعة وإنزال المطر من السماء فتحي به الأرض بعد مواتها والعلم بما في الأرحام، وما تدرى نفس ما تكسب غداً وما تدري نفس بأى أرض تموت.

وفى هذا البحث نوضح وصايا لقمان لابنه وهو يعظه وأثر العمل بها دراسة موضوعية، وتشتمل هذه الوصايا على التحذير من الشرك بالله عزّ وجلّ وطاعة الوالدين. ومراقبة الله تبارك وتعالي فى السر والعن، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على المصائب فإن ذلك من عزائم الأمور والتحذير من الكبر والعجب، والأمر بالتواضع في المشي والكلام، ونورد توضيح ذلك يما يلي:

إتيان لقمان الحكمة:

قال تعالي " **وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** "(١).

قال علماء التفسير: إن لقمان هو ابن باعوراء بن ناحور بن تارح وهو أزر أبو إبراهيم – عليه السلام – وقيل هو لقمان بن عنقاء بن سرون، وكان نوبياً من أهل " إيلة " ابن أخت أيوب أو ابن خالته – وقيل من أولاد آزر عاش ألف سنة وأدركه داود عليه الصلاة والسلام وأخذ عنه العلم. وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا اكتفي إذا كفيت " (٢).

صفته:

قيل كان لقمان عبداً حبشياً، وقيل أسود من سودان مصر وقال مجاهد – كان غليظ الشفتين مشقق القدمين. قاضيا على بنى إسرائيل"(٣). وذكر علماء التفسير فى صناعته ثلاثة آراء، قيل كان خياطاً. والثاني: راعياً. والثالث: نجاراً(٤).

واختلف علماء التفسير فى معني "الحكمة" فقال الإمام ابن كثير إن المراد من "الحكمة" الفهم والعلم والتعبير(٥).

ويرى الإمام الرازى أن المراد بالحكمة توفيق العمل بالعلم فكل من أوتي توفيق العمل بالعلم فقد أوتي الحكمة(٦).

وقال الإمام القرطبي: " المراد بالحكمة هى الصواب فى المعتقدات والفقه فى الدين والعقل"(٧).

---

(١)سورة لقمان آية (١٢)

(٢) تفسير الإمام النسفي المسمي مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج٣١٧/٢، ط دار الكتب العلمية، ١٩٩٥، التحرير والتنوير لابن عاشور ج١٤٦/٨ ط دار سحنون للنشر والتوزيع.

(٣)زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ج٨٥/٣ ط دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٩م

(٤)التحرير والتنوير لابن عاشور ج١٤٩/٨-١٥٠، زاد المسير ج٨٥/٣

(٥)تفسير الإمام ابن كثير ج٥٥٣/٣

(٦)مفاتيح الغيب للإمام الرازي ج١٢٧/٢١، ط دار الكتب العلمية ١٩٩٠م

(٧)الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي ج٤٦/١٤-٤٧، ط الثانية ٢٠٠٩م، ويقول الإمام النسفى ج٣١٨/٢ ما نصه " إن الرجل لا يكون حكيما حتى يكون حكيما فى قوله وفعله ومعاشرته وصحبته.

وذهب عكرمة والشعبي إلى أن معني الحكمة هى "النبوة" وعلى هذا يكون لقمان نبياً لأن الحكمة اطلقت على النبوءة فى كثير من الآيات القرآنية كقوله تعالي فى داود عليه السلام " **وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ**" [١]. وفسرت الحكمة فى قوله "**وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**"[٢] بما يشمل النبوءة،وأن الحكمة معرفة حقائق الأشياء على ما هى عليه وأعلاها النبوءة، لأنها علم بالحقائق مأمون من أن يكون مخالفاً لما هي عليه من نفس الأمر، إذ النبوءة متلقاه من الذى لا يعزب عن علمه شئ"[٣].

والراجح ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أن لقمان كان حكيما صالحاً ولم يكن نبياً، لأن الرسل تبعث من عالية القوم وخيارهم حسباً ونسباً وخلقةً وحرية.

"أن اشكر لله" أمرناه أن يشكر الله – عزّ وجلّ – على ما أتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل الذى خصه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه[٤].

"ومن كفر فإن الله غني حميد" أى غني عن العباد حتى لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعاً، فإنه الغني عمن سواه فلا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه– ويقول الإمام الرازى: "إن الله غير محتاج إلى شكر حتي لا يتضرر بكفران الكافر وهو في نفسه محمود سواء شكره الناس أو لم يشكروه"[٥]، والحاصل أن شكر القلب المعرفة وشكر اللسان الحمد وشكر الأركان الطاعة ورؤية العجز فى الكل دليل قبول الكل"[٦].

النهي عن الشرك بالله عزّ وجلّ: بدأ لقمان عليه السلام وصيته لابنه بالأهم وهو التحذير من الشرك بالله – عزّ وجلّ – فقال تعالي " **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابنه وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**"[٧] فالشرك قبيح وظلم صارخ لأنه

---

(١)سورة (ص) آية (٢٠)

(٢)سورة (البقرة) آية (٢٦٩)

(٣)التحرير والتنوير لابن عاشور ج١٤٩/٨، أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ج٥٠٠/٣ ط دار المنار، ٢٠٠٢م.

(٤)تفسير الإمام ابن كثير ج٣٥٣/٣

(٥)مفاتيح الغيب للإمام الرازي ج٥٥٣/٢١، زاد المسير في علم التفسير، ج٨٥/٣

(٦)تفسير الإمام النسفى ج٣١٨/٢

(٧)سورة (لقمان) آية (١٣)

وضع الشئ في غير موضعه فمن سوى بين الخالق والمخلوق وبين الإله والصنم فهو بلا شك أحمق الناس وأبعدهم عن منطق العقل وحرى أن يوصف بالظلم ويجعل فى عداد البهائم"[١] ويقول الإمام النسفي عند تفسير قوله تعالي " **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**" لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا وهى منه وبين من لا نعمة له أصلا[٢].

والشرك فى اللغة: من شركته فى الأمر أشركه شركاً وشركه إذا صرت له شريكا وجمع الشريك شركاء وأشراك، وشركت بينهما في المال تشريكا وأشركته فى الأمر والبيع جعلته لك شريكاً والشرك اسم من أشرك بالله إذا كفر به"[٣].

واصطلاحاً:

فقد عرفه الإمام الأكبر محمود شلتوت فقال: الشرك هو أن يتخذ له سبحانه وتعالي شريكاً فيما هو من خصائص الألوهية وهي السلطة الغيبية المهيمنة وراء الأسباب والسنن التى يتعلق بها الرجاء فى الحصول على المحبوب ودفع المكروه. فهذه السلطة لله وحده خالق المحبوب والمكروه وخالق الأسباب وحاكمها ومدبرها ليس منها شئ لأحد سواه لا بطريق الذات ولا بطريق المنع والعطاء حتى يصح أن يدعي أو يتجه إليه الخوف أو الرجاء – وعلى هذا فمن اعتقد أن شيئا من هذه السلطة لغير الله فقد أشرك بالله"[٤].

ويرى الإمام أبو بكر الجزائري أن الشرك ضد التوحيد كالكفر ضد الإيمان فالشرك فى ربوبية الله تعالي وأسمائه وصفاته تكذيب لله تعالي وكذب عليه – عزّ وجلّ – وفى عبادته تأليه لغيره سبحانه وتعالي وتأليه غير الله كفر وتكذيب لله تعالي فى قوله "شهد الله أنه لا إله إلا هو"[٥] وفي قوله تعالي. "**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**"[٦] وتكذيب الله تعالي – كفر بلا شك[٧].

---

(١)صفوة التفاسير للشيخ الصابوني ج٢/٤٩١

(٢)تفسير الإمام النسفى ج٢/٣١٨

(٣)المصباح المنير كتاب الشين باب الشين مع الراء وما بتثلثهما ص ١١٨، القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي باب الكاف فصل الشين ص ٧٦٧ ط دار ابن الجوزي ص ٢٠١٥

(٤)تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولي للإمام الأكبر محمود شلتوت ص ٣١٢، ط دار الشروق ٢٠٠٤م.

(٥)سورة (آل عمران) آية (١٨).

(٦)سورة (محمد) آية (١٩)

(٧)عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص ٦٦

ووصف الشرك بالله بالظلم العظيم:

فعن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال لما نزلت " **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُوَهُم مُّهْتَدُونَ**" (١) قال أصحاب رسول الله – صلي الله عليه وسلم أينا لم يظلم " فأنزل الله – عزّ وجلّ – " **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**"(٢).

وقسم علماء العقيدة الشرك إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الشرك الأكبر: وهو الذى يخرج الإنسانية من مكانتها وينزل بها كأنما خرت من السماء فتخطفها الطير أو تهوى بها الريح فى مكان سحيق"(٣) والشرك الأكبر توعد الله عزّ وجلّ صاحبه بالعذاب الأليم قال تعالي " **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِوَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُوَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً**" (٤) كما أن الشرك بالله عزّ وجلّ محبط للعمل قال تعالي " **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ**" (٥) وقال تعالي " **وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**" (٦).

وورد فى الحديث الصحيح عن عمرو بن شرحبيل قال: قال عبد الله قال رجل يا رسول الله أى الذنب أكبر عند الله؟ قال: أن تدعو لله نداً وهو خلقك "قال ثم أى ؟ قال أن تقتل ودك مخافة أن يطعم معك" قال: ثم أى قال: أن تزانى حليلة جارك"(٧) وندا هو الشبه ويقال ند ونديد والحديث دليل على أن أعظم المعاصي الشرك ثم القتل بغير الحق ثم تختلف الكبائر باختلاف مفاسدها الناشئة عنها"(٨).

---

(١)سورة (الأنعام) آية (٨٢).

(٢) أخرجه الإمام البخاري فى كتاب الإيمان باب ظلم دون ظلم ج١٦/١-٧٠ وأخرجه أيضا فى كتاب تفسير القرآن باب تفسير سورة لقمان باب " لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم " ج٢٣٦/٣-٢٣٧

(٣)تفسير الإمام الأكبر محمود شلتوت ص ٣١٤

(٤)سورة (النساء) آية (٤٨).

(٥)سورة (الزمر) آية (٦٥).

(٦)سورة (الحج) آية (٣١).

(٧)أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده ج٥١/١

(٨)سبل السلام للصنعاني ج٢٩٠/٤

وتصديقا لهذا الحديث يقول المولي – عزّ وجلّ – " **وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً**" (١).

ومن الشرك الأكبر الذى لا يغفر لصاحبه عباده الأصنام والأوثان والسجود للشمس والقمر من دون الله – عزّ وجلّ– وقص علينا القرآن الكريم أن قوم نوح عليه السلام عبدوا الأصنام قال تعالي " **وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنّ وَداًّ وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً**" (٢).

"وداً" صنم على صورة رجل "ولا سواعاً" على صورة امرأه "ولا يغوث" صنم على صورة أسد "ويعوق" على صورة فرس "ونسرا" على صورة نسر وهذه الأصنام الخمسة على الخصوص أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم ثم انتقلت من قوم نوح إلى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد، ونسر لحمير.

وقيل هى أسماء رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح فلما ماتوا صورهم ليكون ذلك أدعي لهم إلى العباده فلما طال الزمان قال لهم إبليس إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم"(٣).

وكان قوم إبراهيم عليه السلام يعبدون الأصنام والأوثان ومنهم من كان يعبد النجوم والكواكب والشمس والقمر ويسجدون لها من دون الله – عزّ وجلّ – قال تعالي " **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**" (٤) ، وقال تعالي فى سورة مريم " **وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياًّ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِياًّ. يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِياًّ. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِياًّ. قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِياًّ. قَالَ سَلاَمٌ**

(١)سورة (الفرقان) آية (٦٨).

(٢)سورة (نوح) آية (٢٣).

(٣)تفسير الإمام النسفى ج٧٣٢/٢، قصص الأنبياء للإمام ابن كثير ج٦٩/١ ط المكتبة التوفيقية

(٤)سورة (الأنعام) آية (١١٤).

عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِياًّ. وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِياًّ"(١).

ففى هذه المحاورة والمجادلة بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين أبيه المشرك الذى يعبد الأصنام والأوثان من دون الله الواحد القهار، فدعا إبراهيم أباه إلى الحق والتوحيد بألطف عبارة وأحسن إشارة، وبين بطلان ما هو عليه من عباده الأصنام التى لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه فكيف تغني عنه شيئا أو تفعل به خيرا من رزق أو تصر"(٢) ويقول المولي – عزّ وجلّ – " **وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**"(٣).

وقص القرآن الكريم فى سورة النجم أسماء لأصنام كانت قريش تعبدها من دون الله عزّ وجلّ قال تعالي " **أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى**"(٤).

واللات والعزى ومناة أصنام لهم وهى مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف. وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش، والعزى كانت لغطفان وهى ثمرة وأصلها تأنيث الأعز وقطعها خالد بن الوليد، ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وسميت مناة لأن دماء النسائك كانت تمني عندها أى تراق(٥).

ويقول الإمام ابن كثير إن اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنه وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.

وحكي عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنهم قرءوا "اللات" بتشديد التاء وفسره بأنه كان رجلاً يلت للحجيج فى الجاهلية السويق فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه(٦).

---

(١)سورة (مريم) الآيات من (٤١-٤٧).

(٢)قصص الأنبياء للإمام ابن كثير ج١/١٣٠، الإسلام عقيدة وشريعة للإمام محمود شلتوت ص٢٧ ما نصه "قد نعي القرآن كثيرا على من عدد الإله فاتخذ إلهين اثنين أو عبد شيئا من الخلق كالشمس والقمر والأصنام وحرك عقول المعددين للإله إلى النظر فيما يوجب وحده المعبود وحدة تامة كاملة.

(٣)سورة (فصلت) آية (٣٧).

(٤)سورة (النجم) آية (١٩-٢٠).

(٥)تفسير الإمام النسفى ج٢/٦١٤.

(٦)تفسير الإمام ابن كثير ج٤/٣٢٤-٣٢٥، صفوة التفاسير للشيخ الصابونى ج٣/٢٧٤

فالشرك بجميع أسبابه وصوره وألوانه شذوذ فى الإنسانية ونوبة مرضية تلحق العقل البشري فتجعله يتخبط فى عبادته وتدينه وليس الشرك ظاهرة انحراف وآية شذوذ خاصة بزمن محمد صل الله عليه وسلم ولا بقومه ولا بعباده الأحجار والأصنام ولا بعباده الشمس والقمر، وإنما هو ظاهرة ترسخ جذورها وتمتد عروقها فى جوف الإنسانية الفاسدة اللاهية مادامت تخطو على جسر هذه الحياة إلى أن تقع فى دائرة الحياة الأخرى. حياة النعيم أو الجحيم(١).

الشرك الأصغر "الرياء والسمعة":

الرياء وفى معناه السمعة وقد توسع فى أطلاق أحدهما وإرادة كل منهما لمآل أمرهما إلى عدم الإخلاص فالمرائي يظهر العمل ليراه الناس ويستحسنوه فى مقام الإيناس والمسمع يفعل الفعل ليسمعه الخلق وليس فى غرضه رضي الحق إذا وقع فى عمل من الأعمال فى أوله أو أثنائه قبل الإكمال فإنه يبطل أجر ذلك العمل بل يثبت ورزه حيث ظلم نفسه بوضع الشئ في غير موضعه"(٢) والمولي سبحانه وتعالي يقول "**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَهِ رَبِّهِ أَحَداً**" (٣).

أى لا شركا جليا ولا خفيا وفيه إيماء إلى أنه إذا قصد الرياء والسمعة وقصد الطاعة والعباده جميعاً يوصف بالشركة مطلقا لغلبة أحدهما على الآخر أو التسوية بينهما فإنه يبطل أجره ويثبت وزره"(٤).

وثبت فى الحديث الصحيح عن أبي هريرة – رضى الله عنه – قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة – سبحانه وتعالي – "أنا أغني الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه"(٥).

---

(١)تفسير العشر الأجزاء الأولي للشيخ محمود شلتوت ص٣١٤ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص١٥٩–١٦٠ ط دار الحديث ١٩٩٩

(٢)شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان تأليف الملا على بن سلطان تحقيق أبي اسحاق المصري ص ١٥١، مكتبة الإيمان

(٣)سورة (الكهف) آية (١١٠).

(٤)شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة ص ١٥١

(٥)أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك فى عمله غير الله ج٨٢٣/٢، وأخرجه الإمام ابن ماجه فى كتاب الزهد باب الرياء والسمعة ص ٤٤١

وعن أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري وكان من الصحابة قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا أجمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة لا ريب فيه نادى منادٍ من كان أشرك فى عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغني الشركاء عن الشرك"(١).

وعن سلمه قال سمعت جندباً يقول قال النبي – صلي الله علية وسلم – لم أسمع أحداً يقول قال النبي – صلي اله عليه وسلم – غيره فدنوت منه فسمعته يقول: قال النبي– صلي الله عليه وسلم "من سمَّع سمع الله به ومن يرائي يُرائي الله به "(٢).

وقسم الإمام العز بن عبد السلام التسمع إلى قسمين:

أحدهما: تسميع الصادقين أن يعمل الطاعة خالصة لله ثم يظهرها ويسمع الناس بها ليعظموه ويوقروه وينفعوه ولا يؤذوه. وهذا محرم. الثاني: تسميع الكاذبين وهو أن يقول صليت ولم يصل وزكيت ولم يزك وصمت ولم يصم وحججت ولم يحج وغزوت ولم يغر – وهذا أشد ذنبا من الأول زاد على إثم التسمع " إثم الكذب فأتي بمعصيتين قبيحتين بخلاف الأول فإنه إثم التسميع وحده.

وكذلك لو راءي بعباده من العبادات ثم سمع بها موهما لإخلاصها فإنه يأثم بالتسميع والرياء جميعا وإثم هذا أشد إثما من الكاذب الذى لم يفعل ما سمع به لأن هذا إثم بريائه وتسميعه وكذبه ثلاثة آثام"(٣).

والرياء والمن والأذي يبطل الأعمال فإن عرض لهذه الأعمال من الصدقات ما يبطلها من المن والأذى والرياء. فالرياء يمنع انعقادها سببا للثواب والمن والأذى يبطل الثواب الذى كان سببا له. فمثل صاحبها وبطلان عمله كمثل الحجر الأملس عليه تراب فأصابه المطر الشديد فتركه صلداً لا شئ عليه"(٤).

---

(١)سنن الترمذى كتاب التفسير باب ومن سورة الكهف ص ٨١٩، وقال أبو عيسي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن بكر، وأخرجه ابن ماجه فى كتاب الزهد باب الرياء والسمعة ص ٤٤١، وحسنة الإمام الألباني.

(٢)أخرجه البخارى فى كتاب الرقائق باب الرياء والسمعة ج١٨٢/٤، أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك فى عمله غير الله ج٨٢٣/٢ بلفظ "عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله –صلي الله عليه وسلم " من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به "

(٣)قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ج٩٩/١-١٠٠

(٤)أعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن الجوزى ج١٤٥/١ ط١٩٩٩ مكتبة مصر.

قال تعالي " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ**" (١).

الشرك الخفي:

ويدخل فى الإنسان كدبيب النمل وقد اشار إليه رسول الله – صلي الله عليه وسلم – فعن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدرى عن أبيه عن أبي سعيد الخدرى قال خرج علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال " ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال" قال قلنا بلي: فقال "الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يري من نظر رجل"(٢).

أثر العمل بالوصية الأولي النهي عن الشرك بالله عزّ وجلّ:

إن آثارا طيبة تنتج عن العمل بوصية النهي عن الشرك بالله تبارك وتعالي – تتمثل فيما يلي:

أولا: الفوز بسعادة الدارين ففي الحياة الدنيوية يعيش المؤمن عيشة هنيئة محفوفة بالإيمان والتوحيد وإخلاص العمل لله – عزّ وجلّ – وفى الآخرة الفوز بجنة عرضها كعرض السموات والأرض.

ثانيا: دوام التمكين فى الأرض فإن الله – عزّ وجلّ – يمكن لعباده المؤمنين الموحدين قال تعالي: " **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا منكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**"(٣). فدوام التمكين والاستخلاف فى الأرض منوط بإخلاص العباده لله رب العالمين. قال تعالي " **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ. لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ**"(٤).

---

(١)سورة البقرة آية (٢٦٤)

(٢)أخرجه ابن ماجه فى كتاب الزهد باب الرياء والسمعة ص٤٤٢ وقال الألباني حديث حسن انفرد به ابن ماجه

(٣)سورة النور آية (٥٥)

(٤)سورة الأنعام آية (١٣٢– ١٦٣)

وقال تعالي " **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ. وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ**"(١).

وقال تعالي " **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** "(٢).

وهذا ما أكده رسول الله – صلي الله عليه وسلم – فى حديث معاذ بن جبل حينما كان رديف النبي – صلي الله عليه وسلم – فقال له يا معاذ "هل تدرى ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله إذا فعلوه" قال رسول الله صلي الله عليه "حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله إذا فعلوه أن لا يعذبهم"(٣)

فبالإيمان والتوحيد وإخلاص العباده لله رب العالمين ينال العبد رضا الله – عزّ وجلّ – ويفوز بجنة عرضها السموات والأرض فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه قال – قال رسول الله صلي الله عليه وسلم "من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به دخل النار"(٤).

الإحسان إلى الوالدين:

بعد دعوة لقمان لابنه إلى النهي عن الشرك جاءت الآيات تتحدث عن الوصية بالوالدين – وقيل إن هذا مما أوصي به لقمان ابنه – أخبر الله به – عنه فقال لقمان لابنه لا تشرك بالله ولا تطع فى الشرك والديك فإن الله وصي بهما فى طاعتهما مما لا يكون شركاً ومعصية لله تعالي.

والصحيح أن هاتين الآيتين نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص وعليه جماعة المفسرين(٥) فالإحسان إلى الوالدين وأكرامهما والعمل على برهما أمر من الله تبارك وتعالي إذ يقول الله – عزّ وجلّ في سورة الإسراء "**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ**

(١)سورة الزمر آية (١١-١٢)

(٢)سورة (البينة) آية (٥٠)

(٣)صحيح البخارى كتاب الرقائق باب من جاهد نفسه فى طاعة الله ج١٨٢/٤

(٤)صحيح مسلم كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئا ج٥٣/١

(٥)الجامع لأحكام القرآن الكريم ج٤٩/١٤، اسباب النزول للوحدى ص ١٩٧، ط دار المنار ٢٠٠١

وَلاَتَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً" (١). وقال تعالي فى سورة الأحقاف " **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً**"(٢).

وهذا ما أكده رسول الله – صلي الله عليه وسلم – حيث بين أن أفضل الأعمال إلى الله – عزّ وجلّ – الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين فقد ثبت فى الصحيح عن عبد الله – رضي الله عنه – سألت النبي – صلي الله عليه وسلم – أى العمل أحب إلى الله ؟ قال الصلاة على وقتها "ثم "أى" قال "بر الوالدين قال: ثم أى ؟ قال الجهاد فى سبيل الله"(٣).

كما بينت السنة المطهرة أن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر فعن أبي بكرة – رضى الله عنه – عن أبيه قال: قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلت بلي يا رسول الله قال " لا شراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال "ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور فمال زال يكررها حتى قلنا ليته سكت"(٤).

وعن عبد الله بن عمرو – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه"(٥).

فيشير الحديث إلى تحريم التسبب فى أذية الوالدين وشتمهما ويأثم من يفعل ذلك.

---

(١) سورة (الإسراء) آية (٢٣)

(٢) سورة (الأحقاف) آية (١٥)

(٣)أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الأدب – باب البر والصلة ج٦٩/٤، وأخرجه الإمام الترمذى فى كتاب البر والصلة باب ما جاء في بر الوالدين ص٥٠٤ بلفظ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله – صلي الله عليه سلم – فقلت يا رسول الله أى الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لميقاتها، قلت ماذا يا رسول الله ؟ قال بر الوالدين"

(٤)البخارى كتاب البر والصلة باب عقوق الوالدين من الكبائر ج٧٤/٤، وأخرجه الإمام الترمذى فى كتاب البر الصلة باب ما جاء فى عقوق الوالدين ص٥٠٥

(٥)أخرجه الإمام البخارى فى كتاب البر والصلة باب لا يسب الرجل والديه ج٦٩/٤، وسبل السلام للصنعاني ج٢٩٠/٤

ومن صور البر بالوالدين الانفاق عليهما إذا كانا فقيرين لا مال لهما – فعن عمارة ابن عمير عن عمته عن عائشة قالت قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – "إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم"(١) ومن البر بالوالدين بعد موتهما الدعاء لهما إكرام صديقهما، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما فعن أبي أسيد مالك بن ربيعة قال: "بينما نحن عند النبي – صلي الله عليه وسلم – إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله – صلي الله عليه وسلم "أبقي من بر أبوي شئ أبرهما به من بعد موتهما قال نعم "الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإيفاء بعهودهما من بعد موتهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما"(٢) والحديث وإن كان ضعيفا فإن له شاهد من القرآن الكريم إذ يقول الله تعالي فى آخر آية الإحسان بالوالدين " **وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**"(٣) وقد دعا نوح عليه السلام لوالديه قال " **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَتَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً**"(٤).

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – "أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه(٥) وورد بلفظ آخر عند الإمام مسلم أيضا "إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي" (٦).

" **حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ** " أى ضعفا على ضعف والمعنى لزمها بحملها إياه أن تضعف مرة بعد مرة"(٧) من حين الحمل إلى الولادة، لأن الحمل كلما ازداد وعظم ازدات به ثقلا وتعباً(٨).

---

(١)أخرجه الإمام الترمذى فى كتاب الأحكام باب الوالد يأخذ من مال ولده ص٣٦٥، وأخرجه الإمام النسائي فى كتاب البيوع باب الحث على الكسب ص٧٣٩، بلفظ عن عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها، قالت: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم "إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولد الرجل من كسبه ".

(٢)أخرجه الإمام أبو داود فى كتاب الأدب باب في بر الولد ص٨٥٤ ط دار الفجر للتراث، وأخرجه ابن ماجه فى كتاب البر والصلة باب صل من كان أبوك يصل ص ٣/١١

(٣)سورة (الإسراء) آية (٢٤)

(٤)سورة (نوح) آية (٢٨)

(٥)صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب صلة أصدقاء الأب والأم ج٦٢٤/٢

(٦)المرجع السابق ج٦٢٤/٢

(٧)زاد المسير فى علم التفسير ج٨٥/٣، الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج٤٩/١٤، ما نصه "حملته فى بطنها وهى تزداد كل يوم ضعفا على ضعف وقيل المرأة ضعيفة الخلقة ثم يضعفها الحمل.

(٨)تفسير الإمام النسفي ج٢١٨/٢، تفسير الإمام ابن كثير ج١٩٩/٤

قال تعالي فى سورة الأحقاف: " **حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً**"(١) أى قاست بسببه فى حمله مشقة وتعبا من وحام وغثيان وثقل وكرب إلى غير ذلك مما تناله الحوامل من التعب والمشقة ووضعه كرها بمشقة الطلق وشدته"(٢).

وقدرت السنة المطهرة مكانة الأم وما عانته من مشقة وتعب وإرهاق فعن أبي هريرة – رضى الله عنه – قال: جاء رجل إلى رسول الله – صلي الله عليه وسلم – فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال: أمك. قال: ثم من ؟ قال: أمك، قال ثم من ؟. قال: أمك، قال ثم من ؟ قال أبوك"(٣).

" **وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ** " أى تربيته وإرضاعه بعد وضعه فى عامين كما قال الله تعالي "**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**" (٤).

وقال تعالي "**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُه**" أى ومدة حمله وفطامه **ثَلاثُونَ شَهْراً** ".

فيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع إذا كانت حولين بقي للحمل ستة اشهر وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله، وقال الإمام أبو حنيفة المراد به الأكف"(٥).

وقال الإمام على بن أبي طالب أقل الحمل ستة أشهر لأن الله تعالي قال "**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً**"(٦). وقال تعالي "**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**" (٧). فإذا أسقطت حولين من ثلاثين شهراً بقيت منه ستة أشهر وهى مدة الحمل. وهذا من بديع الاستنباط (٨).

---

(١)سورة (الأحقاف) آية (١٥)

(٢)تفسير الإمام ابن كثير ج١٩٩/٤

(٣)أخرجه الإمام البخاري فى كتاب الأدب باب من أحق الناس بحسن الصحبة ج٦٩/٤، وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب البر والصلة – باب بر الوالدين وأنهما أحق به ج٦٢٠/٢، وأخرجه الإمام أبو داود فى كتاب الأدب باب فى بر الوالدين ص ٨٥٣، بلفظ " عن بهز بن حكم عن أبيه عن جده قلت يا رسول الله من أبر ؟ قال:أمك، ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب، وأخرجه الإمام الترمذى فى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى بر الوالدين ص ٥٠٤

(٤)سورة (البقرة) آية (٢٣٣)

(٥)تفسير الإمام النسفى ج٥٥٣/٢

(٦)سورة (الأحقاف) آية (١٥)

(٧)سورة (البقرة) آية (٢٣٣)

(٨)أحكام القرآن لابن العربي ج٢٤٥/١، تفسير ابن كثير ج١٩٩/٤

ويقول الشيخ محمود شلتوت "إن الآيات الثلاث أصلا تشريعيا لأكثر مدة الرضاع حولين كاملين وأقل مدة الحمل هو ستة أشهر بعد إسقاط مدة الرضاع من مدة الحمل والفصال الواردة فى سورة الأحقاف " **وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً**" وعلى ذلك أن الولد الذى يجئ لأقل من ستة أشهر بعد الدخول يكون غير ثابت النسب إلى الزوج"(١).

" **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ** " أى أشكر ربك على نعمة الإيجاد والإيمان وأشكر والديك على نعمة التربية والإنفاق والتعليم قال الإمام الرازي خص الله – عزّ وجلّ – الأم بالذكر من الحمل والرضاع والتعب والعناء والشقاء، فإن الأب حمله في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين فهو أبلغ"(٢).

وقال ابن عيينه من صلي الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين فى أدبار الصلوات الخمس فقد شكرهما"(٣).

" **إِلَيَّ الْمَصِيرُ** " أى مصيرك إلىّ وحسابك علىّ.

ويقول الإمام الرازي عند تفسير قوله تعالي " **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ** " لما كان الله تعالي بفضله جعل من الوالدين صورة ما من الله فإن الوجود فى الحقيقة من الله وفى الصورة يظهر من الوالدين جعل "الشكر بينهما فقال" **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ** " ثم بين الفرق فقال " **إِلَيَّ الْمَصِيرُ** " يعني نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتي في الدنيا والآخرة فإن إلى المصير لما أمر بالشكر لنفسه وللوالدين قال الجزاء على وقت المصير إلىّ"(٤).

" **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا** " قال جمهور المفسرين إن الآية الكريم نزلت فى سعد بن أبي وقاص حين اسلم فقالت أمه يا سعد ما هذا الدين الذى قد أحدثت لتدعن دينك هذا أولا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي ويقال لك يا قاتل أمه، وامتنعت عن الطعام والشراب لمدة ثلاثة أيام ثم دخل عليها سعد فقال لها يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفساً ما تركت ديني هذا

(١)تفسير العشر الأجزاء الأولي للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ص ٣١٩

(٢)مفاتيح الغيب للإمام الرازي ج١٢٦/٢١

(٣)تفسير الإمام النسفى ج٣١٨/٢

(٤)مفاتيح الغيب للإمام الرازي ج١٢٩/٢١، تفسير الإمام ابن كثير ج٥٥٤/٣٠، تفسير الإمام النسفى ج٣١٨/٢، صفوة التفاسير للشيخ الصابوني ج٤٩٢/٣ يقول ما نصه "إلىّ المرجع والمآب فأجازى المحسن على إحسانه والمسيئ على إساءته ".

لشئ فإن شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت[١]. فالمجاهدة شدة السعي والإلحاح فى دعوتك إلى الشرك بي فلا تطعهما"[٢].

فالحالة الخاصة التى يباح فيها للإنسان عصيان والديه وعدم امتثال أمرهما حالة مجاهدتهما لولدهما لأن يشرك بربه ما ليس له به علم وهذا اقصي ما يمكن فى مثل هذه الحالة من أحكام دين جاء لمحو الشرك والوثنية وتقرير أن العباده لله حده"[٣] فلا طاعة لأحد فى معصية الله عزّ وجلّ لما فيه من المفسدة الموبقة فى الدارين أو في أحدهما فمن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة له[٤] فطاعة الوالدين واجبة ما لم يكن فيها ترك طاعة الله. فإذا أفضي إليه فلا تطعهما[٥].

" **وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً** " يقول الإمام القرطبي: الآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال إن كانا فقيرين

وإلانه القول والدعاء إلى الإسلام برفق"[٦] ويقول المولى – عزّ وجلّ – " **لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينوَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوَهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ**" [٧]

وورد فى سبب نزول الآية الكريمة أن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنهما قالت: أتتني أمى راغبة فى عهد النبي – صلي الله عليه وسلم – فسألت النبي – صلي الله عليه وسلم "أصلها" قال نعم"[٨].

---

(١)أسباب النزول لأبي الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ص١٩٧–١٩٨ ط دار المنار ٢٠٠١م، كتاب النقول فى أسباب النزول للإمام السيوطي ص٢٠٩–٢١٠ ط مكتبة الصفا ٢٠٠٢

(٢)التحرير والتنوير لابن عاشور ج١٦٠/٨، تفسير الإمام ابن كثير ج٥٥٤/٣ يقول ما نصه: فإن حرصا عليك كل الحرص على أن تتبعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك ولا يمنعك أن تصاحبهما فى الدنيا معروفا محسنا إليهما.

(٣)تفسير الشيخ محمود شلتوت ص ٣١٧

(٤)قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ج١٠٣/٢

(٥)مفاتيح الغيب للإمام الرازي ج١٢٩/٢١، تفسير الإمام ابن كثير ج٥٥٤/٣

(٦)الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج٥٠/١٤

(٧)سورة (الممتحنة) آية (٨)

(٨)أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الأدب باب صلة الوالد المشرك ج٧١/٤ لباب النقول فى أسباب النزول للإمام السيوطي ص٢١٠ ما نصه "عن عبد الله بن الزبير قال: قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر الصديق وكان أبو بكر طلقها فى الجاهلية فقدمت على ابنتها بهدايا فأبت أسماء ان تقبل منها أو تدخلها منزلها=

" **وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**" هو الاقتداء بسيرة المنيبين لله الراجعين إليه. والمراد بمن أناب المقلعون عن الشرك وعن المنهيات التى منها عقوق الوالدين. وهم الذين يدعون إلى التوحيد ومن اتبعوهم فى ذلك(١) ويرى الإمام الرازي أن مصاحبة الأبوين الكافرين إنما تكون بالجسم، وأن يتبع سبيل النبي – صلي الله عليه وسلم – فإنه مربي عقلك"(٢).

" **ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**" أى مرجعك ومرجعهما إلىّ فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما. وقد اعترض بهاتين الآيتين على سبيل الاستطراد تأكيداً لما فيه وصية لقمان من النهي عن الشرك يعني إنا وصيناه بوالديه وأمرناه أن لا يطيعهما فى الشرك وإن جهد كل الجهد لقبحه"(٣).

أثر العمل بطاعة الوالدين :

إن آثاراً طيبة تلحق العبد المسلم الذى يقوم ببر والديه فى الدنيا والآخرة تتمثل فيما يلي:

أولا: يستظل العبد المسلم الطائع لوالديه برضا المولي – عزّ وجلّ – فإن رضا الله من رضا الوالدين وسخط الله من سخط الوالدين – فعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – عن النبي – صلي الله عليه وسلم – قال " رضا الرب من رضا الوالد وسخط الرب من سخط الوالد"(٤). كما ثبت أن طاعة الوالدين من أحب الأعمال إلى الله – عزّ وجلّ – فحينما سئل رسول الله – صلي الله عليه وسلم– أى العمل أحب إلى الله ؟ قال الصلاة لوقتها وثم أى" قال "بر الوالدين"(٥).

=حتى أرسلت إلى عائشة أن سلي عن هذا رسول الله صلي الله عليه وسلم فأخبرته فأمرها أن تقبل هداياها وتدخلها منزلها "

(١)التنوير والتحرير لابن عاشور ج١٦١/٨، تفسير الإمام النسفى ج٣١٨/٢-٣١٩

(٢)مفاتيح الغيب للإمام الرازي ج١٢٩/٢١، زاد الميسر فى علم التفسير ج٨٥/٣، حيث ذكر ثلاثة أقوال في معنى قوله تعالي "واتبع سبيل من أناب إلىّ" الأول: الصديق قيل لسعد اتبع سبيله فى الإيمان، والثاني: أنه رسول الله – صلي الله عليه وسلم – الثالث من سلك طريق محمد صلي الله عليه وسلم.

(٣)تفسير الإمام النسفى ج٣١٨/٢

(٤)سنن الإمام الترمذى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى ب الوالدين ص ٥٠٤

(٥)أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الآداب – باب البر والصلة ج٦٩/٤

ثانيا: إن طاعة الوالدين لها ثواب جزيل تلحق العبد المسلم فى الآخرة. فعن ابي هريرة – رضى الله عنه – قال ": قال رسول الله رغم أنفه رغم أنفه رغم انفه قيل من يا رسول الله ؟ قال "من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة"(١).

ثالثا: إن طاعة الوالدين والعمل على برهما والإحسان إليهما تعدل الجهاد فى سبيل الله فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رجل للنبي – صلي الله عليه وسلم – أجاهد ؟ قال "لك أبوان" قال نعم قال "ففيهما فجاهد"(٢).

رابعا: فى ظل طاعة الوالدين نبني الأسرة على تبادل الحب والإحسان وتبادل الحقوق والواجبات وبذلك تكون الأسرة منبعا لرجال تنتفع بهم أمتهم وتتكون الأمة من أسر كريمة لا تعرف الذل ولا الظلم ولا الإرهاق ولا العنت"(٣).

علم الله – عزّ وجلّ بدقائق وصغائر الأمور

قال تعالي " **يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**"(٤)

ذهب أكثر علماء التفسير إلى أن المراد من قوله تعالي " **يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ**" أى أصغر شئ من الحسنات أو السيئات يأتي بها المولي – عزّ وجلّ – للحساب والجزاء يوم القيامة.

ويقول الإمام الرازي إن الحسنة والسيئة إن كانت فى الصغر مثل حبة خردل فتكون فى موضع حريز كالصخرة "فتكن" الفاء لإفادة الاجتماع يعني إن كانت صغيرة ومع صغرها تكون خفية في موضع حريز كالصخرة لا تحفي على الله ؛ لأن الفاء للاتصال والتعقيب"(٥).

---

(١)صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة ج٦٢٣/٢

(٢)أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الأدب باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين ج٦٩/٤

(٣)تفسير الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ص ٣١٨

(٤)سورة (لقمان) آية (١٦)

(٥)مفاتيح الغيب للإمام الرازي ج١٣٠/٢١، الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج٥١/١٤ ما نصه " إن ابن لقمان سأل أباه عن الحبة التى تقع في أسفل البحر أيعلمها الله ؟ فراجعه لقمان بهذه الآية وقيل المعني أنه أراد بالأعمال المعاصي والطاعات أن تك الحسنة أو الخطيئة مثقال حبة يأت بها الله "زاد المسير في علم التفسير ج٨٦/٣.

وخفاء الشئ يكون فى غاية الصغر أو يكون بعيداً أو فى ظلمة أو يكون من وراء حجاب، فإن انتفت الأمور بأسرها بأن يكون كبيرا قريبا فى ضوء من غير حجاب فلا يخفي فى العادة"(١).

" **يَأْتِ بِهَا اللَّهُ**" أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط وجازى عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر"(٢).

قال تعالي " **وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**"(٣).

وقال تعالي " **فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**" (٤) وقال تعالي " **وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ. فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ. وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ. نَارٌ حَامِيَةٌ**"(٥).

وقال علماء التفسير إن الميزان له كفتان ولسان وإنما جمع الموازين لتعظيم شأنها(٦) وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: "يحتمل أن ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات تجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة"(٧).

كما أن الوزن يشمل كل الأعمال حتى لو كان الموزن شيئا يسيراً كالذارة والحبة الصغيرة من الخردل مصداقا لقوله تعالي " **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ**" (٨) وقال تعالي: " **وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**"(٩).

---

(١)مفاتيح الغيب ج١٣٠/٢١، تفسير الإمام النسفى ج٣١٩/٢

(٢)تفسير الإمام ابن كثير ج٥٥٥/٣

(٣)سورة (الأنبياء) آية (٤٧)

(٤)سورة (المؤمنون) آية (١٠٢-١٠٣)

(٥)سورة (القارعة) الآيات (٦-١١)

(٦)تفسير الإمام النسفى ج٦٠/٢، تفسير ابن كثير ج٢٢٨/٣، ما نصه الأكثر على أنه ميزان واحد وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونه فيه.

(٧)شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفي ص٤١٧

(٨)سورة (الزلزلة) آية (٧-٨)

(٩)سورة (الأنبياء) آية (١٠٣)

الشئ الموزون بالميزان:

إن الذى يوضع فى الميزان يوم القيامة قيل الأعمال وإن كانت أعراضا إلا أن الله يقلبها يوم القيامة أجساما كما ثبت فى الصحيح عن أبي إمامه الباهلي قال سمعت رسول الله – صلي الله عليه وسلم – يقول "اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيابتان أو كأنهما فرقانا من طير صواف تحاجان عن أصحابهما"(١).

وقيل يوزن كتاب الأعمال كما ورد فى حديث صاحب البطاقة الذى رواه عمرو بن العاصي – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلي الله عليه وسلم، أن الله عزّ وجلّ يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يؤتي بتلك البطاقة فيها"لا إله إلا الله – فيقول يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول الله تعالي:إنك لا تظلم فتوضع تلك البطاقة فى كفة الميزان قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فطاشت السجلات وثقلت البطاقة"(٢).

وقيل يوزن الرجل مع عمله فعن أبي هريرة – رضى الله عنه – عن رسول الله – صلي الله عليه وسلم قال "إنه ليأتي بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة(٣). وقال اقرءوا " **فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً** "(٤).

وقال الإمام ابن كثير – رحمه الله – ويمكن الجمع بين هذه الآثار يكون ذلك كله صحيحا فتارة توزن الأعمال وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها(٥).

وأرى أن الميزان من أمور الآخرة التى يجب الإيمان بها إيماناً جازماً وتفويض حقيقة الشئ الموزون إلى رب العالمين قال تعالي " **الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ اليَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ**" (٦).

---

(١)أخرجه الإمام مسلم فى كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ج٣٨٨/١

(٢)مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٢١٣/٢-٢٢٢

(٣)أخرجه الإمام البخارى فى كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالي "أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً، ص ٢١٣/٣

(٤) سورة (الكهف) آية (١٠٥)

(٥)تفسير الإمام ابن كثير ج٢٢٨/٣

(٦) سورة (غافر) آية (١٧)

ويبين رسول الله – صلي الله عليه وسلم – ما يثقل ميزان العبد يوم القيامة فعن أبي هريرة – رضى الله عنه – عن النبي – صلي الله عليه وسلم قال "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان للرحمن سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده"(١) وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – "الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك وكل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها"(٢).

أثر العمل بهذه الوصية:

إذا علم العبد أن ما يقوم به من أعمال تحصي عليه وتكتب فى ديوان حسناته وسيئاته قال تعالي: " **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**"(٣) فإن ذلك يدفعه إلى فعل الخيرات وترك المنهيات وحسن مراقبة المولي – عزّ وجلّ – وإخلاص العمل لوجهه الكريم – كما أن مراقبة الله – تبارك وتعالي فى السر والعلن تؤدي إلى سعادة العبد المسلم فى الدنيا والآخرة، ففي دنياه يعيش عيشة مطمئنة واثقا برضا مولاه، وفى الآخرة يسعد بجنة عرضها كعرض السموات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

إقامة الصلاة

بعد أن دعا لقمان ابنه إلى توحيد الله – عزّ وجلّ – ونهاه عن الشرك انتقل إلى تعليمه أصول الأعمال الصالحة فابتدأها بإقامة الصلاة، وهي التوجه إلى الله تبارك وتعالي بالخضوع والتسبيح والدعاء فى أوقات معينة فى الشريعة التى يدين بها لقمان، والصلاة عماد الأعمال لاشتمالها على الاعتراف بطاعة الله بطلب الاهتداء للعمل الصالح، وإقامة الصلاة وإدامتها والمحافظة على أدائها فى أوقاتها".

---

(١)أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الدعوات باب فضل التسبيح ج٤/٢٦١، وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التسبيح والدعاء ج٢/٦٨٨ بلفظ "عن ابي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان للرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ".

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الطهارة باب فضل الوضوء ج١/١٢٩

(٣)سورة (ق) آية (١٨)

فرسل الله عليهم السلام حملوا لقومهم راية التوحيد والإيمان ودعو أقومهم إلى عباده الله وحده قال تعالي:"**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** "(١) ثم أمروهم بعد التوحيد بأفضل الأعمال ألا وهي الصلاة.

فخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام– دعا ربه قائلا " **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**"(٢) وقال تعالي: " **وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِياًّ. وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِياًّ**"(٣) ولما بعث الله – عزّ وجلّ – موسي رسولا ونبيا إلى بني إسرائيل أمره بإقامة الصلاة قال تعالي " **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي**"(٤).

وقال تعالي " **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ**"(٥).

قال قوم شعيب لشعيب – عليه السلام – منكرين عليه إقامة الصلاة قال تعالي " **قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ**"(٦).

وقال تعالي على لسان عيسي ابن مريم عليه السلام " **وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً** "(٧) فالصلاة عباده قديمة فرضت على الأمم في الديانات السماوية إلا أن هيئاتها وأركانها وأوقاتها تختلف من أمة إلى أمة كما قال تعالي " **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً**"(٨) وقال تعالي: " **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا**"(٩).

---

(١)التحرير والتنوير ج١٦٤/٨، مفاتح الغيب للإمام الرازي ج١٣٠/٢١، يقول ما نصه "لما منعه من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته أمره بما يلزمه من التوحيد وهو الصلاة العبادة لوجه الله مخلصا.

(٢)سورة (الأنبياء) آية (٢٥)

(٣) سورة (مريم) آية (٥٤–٥٥)

(٤)سورة (ط) آية (١٤)

(٥)سورة (يونس) آية (٨٧)

(٦) سورة (هود) آية (٨٧)

(٧) سورة (مريم) آية (٣١)

(٨) سورة (المائدة) آية (٤٨)

(٩) سورة (الجاثية) آية (١٨)

والصلاة فى الشريعة الإسلامية لها منزلة عظيمة ومكانة سامية فهى الركن الثاني من أركان هذا الدين الحنيف بعد توحيد الله عزّ وجلّ فعن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان[١] ويقول الله تعالي " **إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى المُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً**" [٢] وقال تعالي " **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**" جاءت الصلاة مجملة فى كتاب الله عزّ وجلّ – وبين رسول الله – صلي الله عليه وسلم – هذا الإجمال يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالي "أحكم الله فرضه فى كتابه فى الصلاة والزكاة والحج وبين كيف فرضه على لسان نبيه – فأخبر رسول الله – صلي الله عليه وسلم – أن عدد الصلوات المفروضات خمس، وأن عدد الظهر والعصر والعشاء فى الحضر أربع وعدد المغرب ثلاثة وعدد الصبح ركعتان، وسن فيها كلها قراءة، وسن أن الجهر منها بالقراءة فى المغرب والعشاء والصبح وأن الخافته بالقراءة الظهر والعصر وسن أن الفرض فى الدخول فى كل صلاة بتكبير والخروج منها بتسليم [٣].

وأمر المولي – عزّ وجلّ – بالمحافظة عليها فقال تعالي: " **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**" [٤] والصلاة الوسطي هى صلاة العصر فعن على – رضى الله عنه قال لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – وملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً شغلونا عن الصلاة الوسطي حتى غابت الشمس"[٥].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية "إن الصلاة الوسطي هى صلاة العصر"[٦] وامتدح القرآن المؤمنين قال تعالي: " **قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ**"[٧] أى خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح، وقيل أن الخشوع فى الصلاة جمع الهمة والأعراض

(١) أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الإيمان باب دعاؤكم إيمانكم ج١/١١

(٢)سورة (النساء) آية (١٠٣)

(٣)الرسالة للإمام محمد بن أدريس الشافعي ص ١٧٥-١٧٦

(٤) سورة (البقرة) آية (٢٣٨)

(٥) أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الجهاد والسير باب الدعاء على المشركين بالهزيمة ج٢/٢٣٥

(٦) أعلام الموقعين ج٢/٢٧٧

(٧) سورة (المؤمنون) آية (١-٢)

عما سواها وأن لا يجاوز بصره مصلاه وألا يلتفت ولا يعبث ولا يفرقع أصابع ولا يقلب الحصي"[١] كما أن من صفات المؤمنين المحافظة والمداومة على أداء الصلاة فى مواقيتها قال تعالي " **الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**"[٢].

وهدد القرآن الكريم الذين يؤخرون الصلاة عن أوقاتها الشرعية فقال تعالي: "**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ**"[٣] وفسر رسول الله صلي الله عليه وسلم الآية الكريمة بأنهم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها"[٤] فيجب على ولى الأمر أن يضرب المتهاون فى أداء فريضة الصلاة إذا بلغ الصبي عشر سنين فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله –صلي الله عليه وسلم مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع"[٥].

أثر العمل بالوصية:

بعد أن غرس لقمان فى ابنه عقيدة التوحيد والإيمان بالله – عزّ وجلّ – والنهي عن الشرك جاءت نصائحه إلى أهم العبادات فأوصاه بإقامة الصلاة لله – رب العالمين – فهي عماد الدين فى جميع الرسالات السماوية التى افترضها الله عزّ وجلّ – على عباده، وأن اختلفت هيئاتها وأركانها ومواقيتها فى الشرائع السماوية إلا أن مقصدها واحد وهو عباده الله تبارك وتعالي – والصلاة فى الشريعة الإسلامية من أعظم القربات التى يتقرب بها العبد إلى مولاه، فهي عماد الدين من أقامها أقام الدين لما اشتملت عليه من توحيد ودعاء وذكر وركوع وسجود وخشوع لله – عزّ وجلّ – كما أن الصلاة التى تؤدي بخشوع وإخلاص لله رب العالمين تحجب صاحبها عن الفواحش والموبقات والآثام وتغرس فيه الإخلاص وحسن المعاملة ومراقبة الله فى السر والعلن.

---

(١) تفسير الإمام النسفى جـ٢ / ١٢٨.

(٢)سورة (المؤمنون) آية (٩)

(٣) سورة (المعاون) آية (٤-٧)

(٤) الإتقان فى علوم القرآن ج٢٥٦/٤

(٥)أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ص٨٨، وأخرجه الإمام الترمذى فى كتاب الصلاة باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة ص١١٩ بلفظ علموا الصبي الصلاة ابن سبع واضربوه عليها ابن عشر، وقال حسن صحيح.

قال تعالي: " **إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**" (١).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

بعد أن أوصي لقمان ابنه بإقامة الصلاة لله رب العالمين حثه على فعل الخيرات وترك المنكرات بين أبناء مجتمعه الذى يعيش فيه يكون آمراً بالمعروف وناهينا عن كل منكر وقبيح.

والمراد بالمعروف هو كل قول أو فعل أو قصد حسنه الشارع وأمر به، والمنكر كل قول أو فعل أو قصد قبحه الشارع أو نهي عنه(٢).

وقال الإمام ابن كثير " إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون بحسب طاقتك وجهدك"(٣).

ويقول الإمام الرازي عند تفسير قوله تعالي " **وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوف وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ**" وإذا كملت فى نفسك بعباده الله فكمل غيرك فإن شغل الأنبياء وورثتهم العلماء أن يكملوا فى أنفسهم ويكملوا غيرهم(٤).

وشمل الأمر بالمعروف الأتيان بالأعمال الصالحة كلها على وجه الأجمال ليتطلب بيانه فى تضاعف وصايا أبيه كما شمل النهي عن المنكر اجتناب الأعمال السيئة(٥).

واتصفت الأمة المحمدية بأنها خير الأمم لأنها تتصف بصفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالي:" **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**" (٦).

---

(١)سورة (العنكبوت) آية (٤٥)

(٢)موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر ج٣٢٦/٢

(٣)تفسير الإمام ابن كثير ج٥٥٥/٣

(٤)تفسير الإمام الرازي ج١٣١/٢١

(٥)التنوير والتحرير ج١٦٥/٨

(٦)سورة (آل عمران) آية (١١٠)

ومن صفات المؤمنين أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قال تعالي:" **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**"(١).

وقال تعالي:" **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**" (٢).

وبينت السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم قواعد تغيير المنكر فعن ابي سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال سمعت رسول الله – صلي الله عليه وسلم يقول " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"(٣).

فيشير هذا الحديث إلى أن قواعد تغيير المنكر تكون بأحد ثلاثة:

الأول: التغيير باليد إنما يكون ممن له سلطة الولاية كولي الأمر له أن يصدر من القرارات التى تلزم المجتمع بالسير عليها.

وكذلك أحد الوالدين له أن يضرب الصغير على تلقي العلم وعلى إقامة الصلاة والصوم.

الثاني: التغيير باللسان يكون نصحا وإرشاداً بالقول اللين: قال تعالي:" **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ**"(٤) وعندما أرسل الله – عزّ وجلّ – موسي وأخاه هارون إلى فرعون اللعين أمرهما بأن يقولا له قولا سهلا لينا قال تعالي: " **فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**" (٥).

الثالث: أن يكون التغير بالقلب وذلك أضعف مراحل التغيير والأمة التى تتخاذل عن تغيير المنكر ويكون فى مقدورها التغيير تكون آثمة قال تعالي: " **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ**

---

(١)سورة (آل عمران) آية (١٠٤)

(٢)سورة (التوبة) آية (٧١)

(٣)صحيح مسلم كتاب الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ج٣٦/١، وأخرجه أبو داود فى كتاب الملاحم باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٧٢٠

(٤)سورة (النحل) آية (١٢٥)

(٥)سورة (طه) آية (٤٤)

بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" (١).

وهذا ما أكده رسول الله – صلي الله عليه وسلم – إن أول ما دخل النقص على بني اسرائيل كان الرجل يلقي الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه فى الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه، وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض"(٢).

وعن ابن جرير عن جرير قال سمعت رسول الله – صلي الله عليه وسلم – يقول: "ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلم يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب قبل أن يموتوا"(٣).

وعن حذيفة بن اليمان – رضى الله عنه – عن النبي – صلي الله عليه وسلم – قال "والذى نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"(٤).

شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

تتمثل هذه الشروط فيما يلي:

أولا: العلم بالشريعة الإسلامية والفقه بها فقها ذكيا والحزم فى تنفيذ أحكامها على المخالفين حزما لا تضيع معه الفائدة الإصلاحية العامة.

ثانيا: العفة عما بأيدي الناس من الأموال التورع عن الهدايا ولا سيما الهدايا المشبوهة والرشاوي الصريحة وغير الصريحة.

---

(١)سورة (المائدة) آية (٧٨-٧٩)

(٢)سنن أبي داود كتاب الملاحم باب الأمر والنهي ص٧٢٠-٧٢١، وأخرجه ابن ماجه فى كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٤١٧

(٣)سنن أبي داود كتاب الملاحم باب الأمر والنهي ص ٧٢١، وأخرجه الإمام الترمذى فى كتاب الفتن باب ما جاء فى نزول العذاب إذا لم يغير المنكر ص٥٦٩ بلفظ عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق – رضى الله عنه – قال "يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم" (المائدة ١٠٥) وإني سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب " قال أبو عيسي وفى الباب عائشة وأم سلمة والنعمان بن بشير وعبد الله بن عمر وحذيفة، وهذا حديث صحيح.

(٤)سنن الترمذى كتاب الفتن باب ما جاء فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص٥٧١، وقال أبو عيسي هذا حديث حسن

ثالثا: سلوك الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر فمظهره وطلاقه وجهه ولين أخلاقه فكل هذه الصفات تسهل أداء مهمته(١).

رابعا: إن من يسلك وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون ممتثلا لما أمر الله به ونهي عنه(٢).

وحذرت السنة الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتينه فقد ثبت فى الصحيحين عن أسامة بن زيد عن عثمان – رضى الله عنهما – قال سمعت رسول الله – صلي الله عليه وسلم– ويقول " يؤتي بالرجل يوم القيامة فيلقي فى النار فتندلق اقتاب بطنة فيدور بها كما يدور الحمار بالرحي فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ؟ فيقول: بلي قد كنت أمر بالمعروف ولا آتيه وأنهي عن المنكر وآتيه"(٣).

خامسا: ألا يؤدي التغيير إلى منكر أشد فإذا رأى المسلم منكراً وأراد تغييره ولكن غلب على ظنه أن تغييره يؤدي إلى منكر أشد منه أو إلى منكر مساوله فإنه لا تجب عليه إزالته ولا تستحب بل تحرم إن كانت ستؤدى حتما إلى منكر أشد(٤).

أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وإن آثارا طيبة تلحق الأمة التى تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر يتمثل فيما يلي:

أولا: نشر فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحقق هدفاً منشوداً ألا وهو صلاح المجتمع وتحليه بالفضيلة والابتعاد عن الرذيلة، فعن أم المؤمنين عائشة –

(١)موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر ج٢/٣٢٤

(٢)التحرير والتنوير لابن عاشور ج٨/١٦٦ " والأمر بأن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر يقتضي إتيان الأمر وانتهائه فى نفسه لأن الذى يأمر بفعل الخير وينهي عن فعل الشر يعلم ما في الأعمال من خير وشر ومصالح ومفاسد فلا جرم أن يتوقاها فى نفسه بالأولوية من أمره الناس ونهيه إياهم، الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي ج١٤/٥٢

(٣)أخرجه الإمام البخارى فى كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة ج٢/٣١٩-٣٢٠، وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب الزهد والرقائق باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهي عن المنكر ويفعله ج٢/٨٢٤

(٤)القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه أ.د. محمد بكر إسماعيل ص ١٠٤، ط دار المنار للطبع والنشر.

رضي الله عنها قالت – قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – "مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعو فلا يستجاب لكم"(١).

ثانيا: أن فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جاءت فى الديانات السماوية فهذا لقمان عليه السلام بعد أن غرس العقيدة الصحيحة فى ولده وأمره بإقامة الصلاة لله رب العالمين دعاه بعد ذلك إلى نشر فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين ربوع قومه، وهذا ما جاء به الإسلام فنالت الأمة الخيرية بين الأمم، لأنها تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر.

ثالثا: إن الأمة التى تتخلي عن العمل بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنتشر فيها الرذائل ويحل عليها عقاب الله – عزّ وجلّ – فعن حذيفة بن اليمان – رضى الله عنه – عن النبي – صلي الله عليه وسلم– قال:" والذى نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"(٢).

فالنظر إلى المنكر بعين اللامبالاه هو استسلام للرذيلة يفسد أمر المجتمع ويعوج به طريق الناس وفى النهاية يشترك الجميع فى الإثم من جهر بالمنكر ومن سكت عنه"(٣).

الصبر على المصائب

قال تعالي " **وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ** "(٤).

الصبر هو تحمل ما يحل بالمرء مما يؤلم أو يحزن" (٥).

بعد أن أوصي لقمان ابنه بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمره بعد ذلك بالتحلي بالصبر. قال تعالي " **وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ** " فإن الأمر

---

(١)انفرد به ابن ماجه فى كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٤١٧ وحسنه الشيخ الألباني.

(٢)أخرجه الإمام الترمذى فى كتاب الفتن باب ما جاء فى نزول العذاب إذا لم يغير المنكر ص ٥٧٠، وحسنه الإمام الترمذى فقال هذا حديث حسن.

(٣)موسوعة الفقه الإسلامي ج١٢٦/٢

(٤)سورة (لقمان) آية (١٧)

(٥)التحرير والتنوير لابن عاشور ج١٦٥/٨، تفسير الإمام ابن كثير ج٥٥٥/٣ يقول "إن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر".

بالمعروف والنهي عن المنكر قد يجران القائم بهما معاداة من بعض الناس أو أذى من بعض فإذا لم يصبر أوشك أن يتركهما".

ورجح الإمام القرطبي أن المراد بالصبر فى الآية هو الصبر على شدائد الدنيا كالأمراض وغيرها وألا يخرج من الجزع إلى معصية الله عزّ وجلّ – وهذا قول حسن لأنه يعم"[١] وهذا ما أراه راجحا لما يؤيده من القرآن الكريم والسنة المطهرة حيث وجه المولي – عزّ وجلّ – عباده المؤمنين بالاستعانة بالصبر والصلاة قال تعالي:" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**" [٢].

فبالصبر تنال كل فضيلة وبالصلاة تنهي عن كل رذيلة. " إن الله مع الصابرين بالنصر والمعونة" [٣].

وأخبرنا المولي – سبحانه وتعالي " أنه يبتلي عباده ويختبرهم ويمتحنهم ليميز الخبيث من الطيب والصالح من الطالح بشئ من الخوف والجوع ونقص الأموال بذهاب بعضها أو ينقصها بالزكاة والأنفس كموت الأصحاب والأقارب والأحباب وقلة الثمرات، فمن صبر أثابه المولي – عزّ وجلّ – ومن قنط أحل به عقابه"[٤].

قال تعالي: " **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**" [٥].

وجاءت الأحاديث النبوية تبين ثواب الصبر عند نزول البلاء فعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال مر النبي – صلي الله عليه وسلم – بامرأة تبكي عند قبر فقال – صلي الله عليه وسلم– اتقي الله واصبري" قالت إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه فقيل لها أنه النبي صلي الله عليه وسلم – فأتت باب النبي – صلي الله عليه وسلم – فلم تجد عنده بوابين، فقالت لم أعرفك، فقال – صلى الله عليه وسلم –

(١)الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج١٤/٥٣

(٢)سورة (البقرة) آية (١٥٣)

(٣)تفسير الإمام النسفي ج١/٩٢

(٤)تفسير الإمام ابن كثير ج١/٢٧٥

(٥)سورة (البقرة) آية (١٥٥-١٥٦)

"إنما الصبر عند الصدمة الأولي"(١)، وعن مصعب عن سعد عن أبيه قال – قلت يا رسول الله صلي الله عليه وسلم أى الناس أشد بلاء ؟ قال "الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلي الرجل على حسب دينه فإن كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان فى دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة"(٢).

وعن أبي هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم– "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتي يلقي الله وما عليه من خطيئة"(٣).

وأخرجه الإمام البخارى فى صحيحه قول الله – عزّ وجلّ – "إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب"(٤).

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – "وجدنا خير عيشاً بالصبر"وقال الله – عزّ وجلّ – عقب آية الاختبار والامتحان " **أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**"(٥) أى ثناء من الله عليهم ورحمة، وقال سعيد بن جبير أى آمنه من العذاب " **وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**" قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمت العلاوة "" **أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ**" فهذا العدلان " **وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**" فهذه العلاوة وهى ما توضع بين العدلين وهي زيادة فى الحمل فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضا(٦).

---

(١)أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز باب زيارة القبور ج١/٣٠١، وأخرجه مسلم فى كتاب الجنائز باب الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولي ج١/٤٤٧، وأخرجه ابن ماجه فى كتاب الجنائز باب ما جاء فى الصبر على المصيبة ص ٦٦

(٢)أخرجه الإمام الترمذى كتاب الزهد باب ما جاء فى الصبر على البلاء ص ٦٢٧، وقال أبو عيسي هذا حديث حسن صحيح وفى الباب عن أبي هريرة وأخت حذيفة بن اليمان أن النبي صلي الله عليه وسلم سئل أى الناس أشد بلاء، قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل".

(٣)أخرجه الإمام الترمذى فى كتاب الزهد باب ما جاء فى الصبر على البلاء ص ٦٢٧، وقال أبو عيسي هذا حديث حسن صحيح.

(٤)سورة (الزمر) آية (١٠)

(٥)سورة (البقرة) آية (١٥٧)

(٦)تفسير الإمام ابن كثير ج١/٢٧٥، تفسير الإمام النسفى ج١/٩٢ يقول عند تفسير قوله تعالي "أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة" الصلاة الحنو والتعطف.

أثر العمل بوصية الصبر على المصائب:

إن من أهم الآثار المترتبة على العمل بوصية الصبر على المصائب يتمثل فيما يلي:

أولا: الاستسلام والرضا وعدم الجزع والندم على ما فات قال تعالي: " **مَا أَصَابَ من مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَتَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**"(١).

ثانيا: إن فى فصيلة الصبر والتحلي والتخلق بها من أعظم القربات التى يتقرب بها العبد المؤمن إلى الله – عزّ وجلّ – فالصبر ثوابه الجنة والمغفرة من الله لعباده الصابرين.

ثالثا: تتوافق الفضائل فى جميع الأديان السماوية فهذا لقمان ينصح ابنه بالصبر على المصائب والبلايا وهذا ما دعا إليه سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم – فقد دعا إلى التخلق بهذه الفضائل العظيمة ومنها الصبر فإن الله عزّ وجلّ – يعطي الثواب الجزيل لمن صبر على ما أصابه فى دنياه – قال تعالي " **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**"(٢).

رابعا: إن المحن والبلايا التى تنزل بالمرء إنما هي بمثابة اختبار وامتحان من الله – عزّ وجلّ – لعباده حتى يميز الخبيث من الطيب والصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق قال تعالي " **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**"(٣)، وقال تعالي: " **الـــم. أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ**"(٤).

---

(١)سورة (الحديد) آية (٢٢ –٢٣)

(٢)سورة (البقرة) الآيات (١٥٥ – ١٥٦ – ١٥٧)

(٣)سورة (البقرة) آية (٢١٤)

(٤)سورة (العنكبوت) آية (١ –٢)

عزائم الأمور

قال تعالي: " **إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** "(١).

العزم فى اللغة:

العزم والعزيمة عقد القلب على إمضاء الأمر يقال عزمت الأمر وعزمت عليه واعتزمت(٢).

قال تعالي: "**وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ**"(٣) وقال تعالي " **وَلاتَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ**"(٤) وقال تعالي:" **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**"(٥). " **فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً** "(٦)

وجاء فى المصباح المنير " عزم على الشئ وعزمه عزماً، من باب ضرب عقد ضميره على فعله، وعزم عزيمة وعزمة، اجتهد وجد فى أمره، وعزيمة الله فريضة الله التى افترضها والجمع عزائم(٧).

وقال جمهور المفسرين عند تفسير قوله تعالي " **إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**" إن إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى من عزم الأمر التى أمر بها أمر إيجاب (٨).

وقسم علماء الأصول الحكم التكليفي إلى عزيمة ورخصه. فالعزيمة عرفها بعض علماء الأصول بأنها ما لزم بإيجاب الله تعالي(٩) وهذا التعريف يخرج المحرم والمكروه والمباح(١).

---

(١)سورة (لقمان) آية (١٧)

(٢)المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى مادة عزم ص ٣٣٤.

(٣)سورة (البقرة) آية (٢٢٧)

(٤) سورة (البقرة) آية (٢٣٥)

(٥)سورة (آل عمران) آية (١٥٩)

(٦)سورة (طه) آية (١٦٥)

(٧)المصباح المنير للعالم أحمد بن محمد بن على المقرى العين مع الزاى وما يثلثهما مادة "عزم" ص١٥٥، القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادى ص ٩٣١ ط. دار ابن الجوز ٢٠١٥.

(٨)تفسير الإمام ابن كثير جـ٣/٥٥٥، التنوير والتحرير لابن عاشور جـ٨/١٦٦، مفاتح الغيب للإمام الرازى جـ٢١/١٣١، تفسير الإمام النسفى يقول عند تفسير قوله تعالى "إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ" أى مما عزمه الله من الأمور أى قطعه قطع إيجاب وإلتزام وأمر به أمراً حتماً وهو من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأمور أى مقطوعاتها ومفروضاتها وهذا دليل على أن هذه الطاعة.

(٩)المستصفى فى أصول الفقة للإمام الغزلى جـ/٨٤، ط ١٩٩٧، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

وعرف الإمام الشنقيطي العزيمة بأـــنها الحكم الثابت من غير مخالفة دليل شرعي[٢].

فهذا التعريف يشمل الواجب والمندوب والحرام والمكروه. ويقول المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الوهاب خلاف "إن العزيمة ما شرعه الله أصالة من الأحكام العامة التى لا تختص بحال دون حال ولا بمكلف دون مكلف"[٣].

وأما الرخصة: يقول ابن نجيم الحنفي ما فرض ابتداء فهو عزيمة وما طرأ عليه التخفيف فهو رخصة"[٤].

وقيل إن الرخصة ما شرعه الله من الأحكام تخفيفا على المكلف فى حالات خاصة تقتضي هذا التخفيف، أو هى ما شرع لعذر شاق فى حالات خاصة"[٥].

والأصل فى مشروعية الرخص قوله تعالي: " **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**"[٦] وقوله تعالي " **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**"[٧].

وتتبع الفقهاء هذه الرخص وسموها تخفيفات الشرع على النحو التالي:

أ – تخفيف الإسقاط كإسقاط الجمعات والصوم والحج والعمرة بأعذار معروفات.

ب – تخفيف تنقيص كقصر الصلاة الرباعية فى السفر.

ج – تخفيف إبدال كإبدال الوضوء والغسل بالتيمم وإبدال القيام فى الصلاة بالقعود.

د – تخفيف تقديم كالجمع بين صلاتي الظهر والعصر فى عرفة.

و – تخفيف تأخير كتأخير صلاة المغرب إلى صلاة العشاء فى مزدلفة، وكذلك فى حالات المطر والسفر.

---

(١)شرح الأصول من علم الأصول للشيخ محمد صالح العثيمين ص٣٠ – ط دار العقيدة ٢٠٠٢.

(٢)مذكرة فى أصول الفقه لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى ص٥٠ ط دار العلوم والحكم ٢٠٠٤م، الوجيز فى أصول الفقه أ.د. عبد الكريم زيدان ص ٤٩، أصول الفقه للشيخ محمد الخضرى ص٧٧ ط دار الحديث.

(٣)علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ١٤٢ ط دار الحديث.

(٤)الأشباه والنظائر على مذهب أبى حنيفة النعمان ص ٨٣ تحقيق عادل سعد المكتبة التوفيقية.

(٥)علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ١٤٢.

(٦)سورة (البقرة) آية (١٨٥)

(٧)سورة (الحج) آية (٧٨)

هـ- تخفيف ترخيص كشرب الخمر للغصه وأكل الميتة عند الضرورة. (١).

فتعريف علماء الأصول للعزيمة جاء مطابقا كما قاله علماء التفسير عند تفسير قوله تعالي: " **إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**" فكل ما أمر الله بهعباده من صلاة وصوم وحج وسائر العبادات والآداب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المصائب فرضه الله عزّ وجلّ – على عباده فى جميع الشرائع السماوية على وجه الإلزام.

النهي عن تصغير الخد للناس

انتقل لقمان بابنه فى معاملة الناس فنهاه أولا عن احتقارهم والتفاخر عليهم وهذا يقتضي أمره بإظهار مساواته مع الناس وعد نفسه كواحد منهم ثم نهاه ثانيا عن المشي في الأرض فرحا فخوراً متكبراً فإن الله – عزّ وجلّ – يبغض المتكبرين ثم أمره بالتوسط والاعتدال فى المشي والغض من الصوت فإن أنكر الأصوات صوت الحمير.

قال تعالي: " **وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ**"(٢).

فالتصغير: ميل فى الوجه أو فى أحد الشقين وهو داء يصيب البعير يلوى عنقه منه، وصعر خده تصعيرا وصاعره وأصعره، أمال النظر عن الناس تهاونا من كبر وربما يكون خلقه(٣) ويقول الإمام ابن كثير عند تفسيره للآية الكريمة سالفة الذكر ولا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقارا منك لهم واستكباراً عليهم، ولكن أقبل على الناس متواضعاً مؤنساً مستأنساً، وإذا حدثك أصغرهم فاصغ إليه حتى يكمل حديثه"(٤).

---

(١)الأشباه والنظائر على مذهب أبى حنيفة النعمان ص ٣٨، قواعد الأحكام فى مصالح النسفى للحزين عبد السلام جـ٢/٦ الأشباه والنظائر فى قواعد وفروع الشافعية للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى جـ١/٢٠٦، أصول الفقه للشيخ محمد الخضرى ص٧٦، علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص١٤٢.

(٢)سورة (لقمان) آية (١٨)

(٣)القاموس المحيط كتاب الراء باب الصادر ص ٣٢٩.

(٤)تفسير النسفى ابن كثير جـ٣/٥٥٥، الإتقان فى علوم القرآن للإمام السيوطى جـ٢/٣٠ ما نصه " لا تتكبر فتحتقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك" تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجامع لأحكام القرآن جـ١٤/٥٣، تفسير النسفى جـ٢/٣١٩.

ويقول الإمام الرازى عند تفسير قوله تعالي: " **وَلَاتُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ**" لما أمره أن يكون كاملا فى نفسه مكملا لغيره وكان يخشي بعدهما من أمرين:

أحدهما: التكبر على الغير بسبب كونه مكملا له، والثاني: التبختر فى النفس بسبب كونه كاملا فى نفسه"(١).

فعن جابر بن سليم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: "لا تحقرن شيئا من المعروف وإن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف"(٢) وثبت فى الصحيحين عن أنس بن مالك أن رسول الله صلي الله عليه وسلم – قال "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله أخوانا"(٣).

فالتدابر والأعراض وترك الكلام والسلام، وإنما قيل للاعراض تدابر لأن من أبغضته أعرضت عنه ووليته دبرك، ومن أحببته أقبلت عليه بوجهك وواجهتك لتسره ويسرك ". فمعني التدابر موجود فيمن صعر خده"(٤).

النهي عن المشي فى الأرض مرحا:

قال تعالي: " **وَلَاتَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً**" (٥).

يقول الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية أى لا تمش خيلاءً متكبراً جباراً عنيداً لا تفعل ذلك يبغضك لله" " إن الله لا يحب كل مختال فخور" أى مختال معجب فى نفسه فخور على غيره"(٦).

---

(١)مفاتح الغيب للإمام الرازى جـ٢١/١٣.

(٢)سنن أبى داود كتاب اللباس باب ما جاء فى إسبال الإزار ص ٦٧٩.

(٣)أخرجه النسفى البخارى فى كتاب الأدب باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر جـ٤/٨١، وأخرجه النسفى مسلم فى كتاب البر والصلة باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر جـ٢/٦٢٦.

(٤)الجامع لأحكام القرآن جـ١٤/٥٤.

(٥)سورة (لقمان) آية (١٨)

(٦)تفسير النسفى ابن كثير جـ٣/٥٥٦، مفاتح الغيب للرازى جـ٢١/١٣١، يقول ما نصه " ولا تمش فى الأرض تبختراً فإن الله لا يحب من يكون به خيلا" والفخور من يكون متبختراً فى نفسه وهو التكبر يرى عظمة لنفسه فى عينه، تفسير النسفى جـ٢/٣١٩، أحكام القرآن لابن العربى جـ٣/٥٠٣.

وثبت فى الصحيح عن أبي هريرة – رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم " بينما رجل يمشي فى حلة تعجبه نفسه مرجل جمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة"(١).

وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من جر ثوبه مخيلة لم ينظر الله إليه يوم القيامة"(٢).

وجاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة تذم المتكبرين وتتوعدهم بالعذاب الأليم فى نار جهنم.

قال تعالي: " **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ**"(٣)، وقال تعالي " **قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**"(٤)، وقال تعالي " **ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**"(٥).

ومن الأحاديث الصحيحة التى توعدت المتكبرين بالعذاب الأليم يوم القيامة ما يلي:

أولا: ما روي عن حارثه بن وهب الخزاعي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخيركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر"(٦).

---

(١)أخرجه البخارى فى كتاب اللباس باب من جر ثوبه من الخيلاء جـ٣٦/٤ وأخرجه النسفى مسلم فى كتاب اللباس باب تحريم التبختر فى المشى مع إعجابه بثيابه جـ٤١٢/٢ بلفظ عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " بينما رجل يتبختر يمشى فى برديه قد أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة".

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب اللباس من جر ثوبه من الخيلاء جـ٣٦/٤ وأخرجه مسلم فى كتاب اللباس باب تحريم التبختر فى المشى جـ٤١٢/٢ بلفظ عن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " إن الذى يجر ثوبه من الخيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة" وفى رواية أخرى "لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء".

(٣)سورة (الزمر) آية (٦٠)

(٤)سورة (الزمر) آية (٧٢)

(٥)سورة (غافر) آية (٧٦)

(٦)أخرجه البخارى فى كتاب الأدب باب الكبر جـ٨٩/٤.

ثانيا: عن أبي سعيد الخدرى وأبي هريرة قالا: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته"(١).

ثالثا: عن أبي هريرة قال هناء قال رسول الله صلي الله عليه وسلم عن رب العزة الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته فى النار "(٢).

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول الله سبحانه الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته فى النار"(٣).

وعن علقمه عن عبد الله عن النبي صلي الله عليه وسلم – إن الجنة لا يدخلها من كان فى قلبه مثال ذرة من كبر"(٤).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه – عن النبي – صلي الله عليه وسلم قال:"لا يدخل الجنةمن كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر" قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال: إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس"(٥).

والمعني أن يتكبر على الحق فلا يراه حقاً، وقيل أن يتكبر عن الحق فلا يقبله، وقيل الارتفاع عن الناس واحتقارهم ودفع الحق وإنكاره ترفقا وتجبراً(٦).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الكبر جـ٢/٦٥٣.

(٢) سنن ابى داود كتاب اللباس باب ما جاء فى الكبر ص ٦٨٠.

(٣) سنن ابن ماجه كتاب الزهد باب البراءة من الكبر ص ٢٣٩، وانفرد به ابن ماجه وصححه الألبانى.

(٤) أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان باب تحريم الكبر جـ١/٥٣، وأخرجه أبو داود فى كتاب اللباس باب ما جاء فى الكبر ص ٦٨٠ بلفظ " لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبه من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان"، وأخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى الكبر ص ٥٢٥، وقال أبو عيسى هذا حديث صحيح.

(٥) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب تحريم الكبر جـ١/٥٣، وأخرجه أبو داود فى كتاب اللباس باب ما جاء فى الكبر ص ٦٨٠ بلفظ " لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان" وأخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى الكبر ص ٥٢٥ وقال أبو عيسى هذا حديث صحيح.

(٦) سبل السلام للصنعانى جـ٤/٣٤٥.

علاج الكبر:

إن علاج الكبر إنما يكون بالتواضع ولين الجانب وقبول الحق ممن كان كبيراً أو صغيراً شريفاً أو وضيعاً، والتخلق بأخلاق النبي الكريم، صلوات الله وسلامه عليه – حيث وصف المولي عزّ وجلّ – خلقه فقال تعالي: " **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**"(١) ويقول العز بن عبد السلام " وأعلم أنه لا أدب كأدب رسول الله – صلي الله عليه وسلم، ولا خلق كأخلاقه، فمن وفقه الله – أعانه على البحث على أخلاقه والاقتداء به ليتخلق منه بما يقدر عليه ويصل إليه وما من أحد إلا وقد همّ ولمّ فيا سعادة من اقتدى به واستسن بسيرته وأخذ بطريقته وامتلأ قلبه من محبته"(٢). قال تعالي: " **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**"(٣).

ومن الأحاديث التى حثت على التواضع ما ورد فى الصحيح عن قنادة عن يزيد ابن عبد الله عن عياض بن حمار أنه قال: قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم " إن الله أوحي إلىّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد(٤).

وعن شقيق بن سلمة عن مسروق قال " دخلنا على عبد الله بن عمرو حين قدم معاوية إلى الكوفة فذكر رسول الله صلي الله عليه – فقال " لم يكن فاحشا ولا متفحشاً " وقال: قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم " من أخيركم أحسنكم خلقاً " (٥).

الاعتدال فى المشي:

بعد أن بين لقمان لابنه آداب المعاملة مع الناس بين ما يحسن الآداب فى هيئته فأمره بالقصد في المشي وخفض الصوت فقال تعالي " **وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ** "(٦).

---

(١) سورة (القلم) آية (٤)

(٢) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام جـ/١٠٠ – ١٠١ / عون المعبود شرح سنن أبى داود جـ٢٤٩/٨.

(٣) سورة (آل عمران) آية (٣١)

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار جـ٧٦٨/٢، وأخرجه أبو داود فى كتاب الأدب باب فى التواضع ص ٨١٦.

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب باب لم يكن النبى فاحشاً ولا متفحشاً جـ٨٠/٤.

(٦) سورة (لقمان) آية (١٩)

والقصد هو الوسط العدل بين طرفين فالقصد فى المشي أن يكون بين طرف التبخر وطرف الدبيب"[١].

ويقول الإمام النسفي عند تفسير قوله تعالي " **وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**" أى أعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثوب الشطار"[٢].

فالمشي باعتدال وتوسط أمر به رسول الله – صلي الله عليه وسلم – حتى عند الذهاب إلى أداء فريضة الصلاة التى هى أحب الأعمال إلى الله – عزّ وجلّ – فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلي الله عليه وسلم – قال " إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا"[٣].

وفى رواية عند الإمام مسلم عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه سلم – يقول: " إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا"[٤].

فالمشى بوسطية واعتدال أمر مطلوب يجلب لصاحبه الهيبة والوقار والاحترام حتى عند أداء فريضة الصلاة التى هى أحب الأعمال إلى رب العالمين.

الغض من الصوت:

قال تعالى: " **وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ**"[٥] الغض نقص قوة استعمال الشئ يقال: غض للرجل صوته وطرفه ومن طرفه وصوته غضاً من باب قتل خفض ومنه يقال غض من فلان غضاً وغضاضة إذا تنقصه والغضيضة النقصان وغضغضت السقاء نقصته[٦].

---

(١) التنوير والتحرير جـ٨/١٦٨.

(٢) تفسير النسفى جـ٢/٣١٩، زاد المسير فى علم التفسير جـ٣/٨٦، يقول ما نصه "ليكن مشيك قصداً لا تخيلاً ولا إسراعا" أحكام القرآن لابن العربى جـ٣/٥٠٤، الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى جـ١٤/٥٤.

(٣) صحيح البخارى كتاب الأذان باب لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار جـ١/١٥٥.

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب المساجد – باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهى عن إينانها سحباً جـ١/٢٩١.

(٥) سورة (لقمان) آية (١٩).

(٦) المصباح المنير باب الغين مع الضاد وما يثلثهما مادة (غض) ص ١٧١.

ويقال غض بصرة إذا خفض نظره فلم يحدق فغض الصوت جعله دون الجهر وجئ بمن الدالة على التبعيض لإفادة أن يغض بعض جهره أى ينقص من جهورته ولكنه لا يبلغ به إلى التخافت والسرار(١).

ويقول الإمام ابن العربى عند تفسير قوله تعالى "**وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ** " يعنى لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما يحتاج إليه فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذى(٢) وفى الآية دليل على تعريف قبح رفع الصوت فى المخاطبة والملاحاة بقبح أصوات الحمير لأنها عالية.

وثبت فى الصحيح عن أبى هريرة أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال:"إذا سمعتم صياح الديك فأسالوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً"(٣) وقال سفيان الثورى صياح كل شئ تسبيح إلا نهيق الحمير.

وقال عطاء نهيق الحمار دعاء على الظلمة(٤).

" **إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ** "(٥).

معنى "أنكر" أقبح

نقول آتانا فلان بوجه منكر أى قبيح(٦).

(١) التنوير والتحرير جـ٨/١٦٨.

(٢) أحكام القرآن للإمام ابن العربى جـ٣/٥٠٥، الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى جـ١٤/٥٥، زاد المسبر فى علم التفسير لابن الجوزى جـ٣/٨٦.

(٣)صحيح البخارى فى كتاب بدء الخلق باب خير مال المسلم غنم يتمتع بها شعف الجبال جـ٢/٣٢٧ وأخرجه للإمام مسلم فى كتاب الذكر والدعاء عند صياح الديك جـ٢/٧٠٢ وأخرجه أبو داود وفى كتاب الأدب باب نهيق الحمير ونباح الكلاب ص٨٤٨، وأخرجه الترمذى كتاب الدعوات باب ما يقول إذا سمع نهيق الحمار ص٩٠٤.

(٤)الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى جـ١٤/٥٥، زاد المسير فى علم التفسير جـ٣/١٦٨.

(٥) سورة (لقمان) آية (١٩)

(٦) زاد المسير فى علم التفسير جـ٣/٨٦.

ويقول الإمام النسفى عند تفسير قوله تعالى: " **إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ**" أى أوحشها لأن أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار(١).

وقيل اللام للتأكيد ووحد الصوت وإن كان مضافاً إلى الجماعة، لأنه مصدر والمصدر يدل على الكثرة وهو مصدر صات يصوت صوتاً فهو صائت (٢).

(١) تفسير النسفى جـ٢/٣١٩ الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى جـ١٤/٥٥ ما نصه "هذه الآية أدب من الله تعالى بترك الصياح فى وجوه الناس تهاونا بهم أو ترك الصياح جملة وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير فمن كان منهم أشد صوتاً كان أعز ومن كان أخفض كان أذل".

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم جـ١٤/٥٦، زاد المسير جـ٣/٨٦، تفسير النسفى جـ٢/٣١٩.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة عن وصايا لقمان لابنه نستخلص النتائج التالية:

أولاً: إن أصول العقيدة والتوحيد فى الشرائع السماوية جاءت واحدة فكل رسل الله عليهم السلام حملوا إلى أقوامهم راية التوحيد قال تعالى:" **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** "(١) كما أن مكارم الأخلاق والفضائل والنهى عن الرذائل جاءت فى الديانات السماوية واحدة فرسل الله عليهم الصلاة والسلام دعوا أقوامهم إلى الصدق والأمانة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولين الجانب وعدم التكبر على الناس والتوسط فى المشى وغض الصوت، فهذه الفضائل والمكارم من عزائم الأمور التى أمر الله بها رسله عليهم السلام إلى الدعوة إليها والعمل بها والتخلق بأخلاقها وآدابها.

ثانياً: إن من أهم العبادات التى أوصى لقمان ابنه إقامة الصلاة خالصة لله الواحد القهار فالصلاة فريضة قديمة فى جميع الشرائع السماوية افترضها الله – عزّ وجلّ – على عباده فكل رسل الله عليهم السلام جاءوا بالصلاة وأمروا أقوامهم أن يؤدوها لله تبارك وتعالى. وهذا ما أكدت عليه الرسالة المحمدية الخاتمة فقد أمر القرآن بإقامة الصلاة والمحافظة على أوقاتها التى بينها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فإن النجاة من النار يوم القيامة إنما يتحقق بالتوحيد الخالص وإقامة الصلاة لله رب العالمين.

ثالثاً: إن من الصفات الذميمة التى نهى لقمان ابنه عنها التكبر على عباد الله والنظر إليهم بسخرية وازدراء واحتقار، والمشى فى الأرض بخيلاء ومرح. فهذه صفات يبغضها المولى – عزّ وجلّ – وجاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة تذم المتكبرين والمتجبرين وتبغضهم وتتوعدهم بالعذاب الأليم فى جهنم وبئس المصير.

رابعاً: يستنبط من دراسة هذا البحث أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وهذا ما ورد فى قوله تعالى: " **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا** "(٢).

---

(١) سورة (الأنبياء) آية (٢٥)

(٢) سورة (لقمان) آية (١٥)

خامساً: إن العمل بهذه الوصايا التى أوصى بها لقمان ابنه فى سورة لقمان وأيدتها السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم يحقق للمرء المسلم الفوز بسعادة الدارين حياة طيبة فى دنياه وفى آخرة يسعد بجنة عرضها كعرض السموات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا آذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن الكريم للإمام ابن العربى المالكى ط دار المنار ٢٠٠٠م.
٢- أسباب النزول لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ط دار المنار ٢٠٠١ م.
٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن الجوزى مطبعة مكتبة مصر ط١٩٩٩م.
٤- أصول الفقه للشيخ محمد الخضرى ط دار الحديث.
٥- الإتقان فى علوم القرآن للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى ط ١٩٦٧ م.
٦- الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ط دار الشروق ٢٠٠١م.
٧- الأشباه والنظائر على مذهب أبى حنيفة النعمان لابن نجيم الحنفى – تحقيق عادل سعد المكتبة التوفيقية.
٨- الأشباه والنظائر فى قواعد وفروع الشافعية لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى ط دار السلام للطباعة والنشر ط ٢٠٠٦ م.
٩- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ط دار سحنون للطباعة والنشر والتوزيع.
١٠-تفسير القرآن العظيم لابن كثير مكتبة الإيمان المنصورة ٢٠٠٦م.
١١-تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى للإمام الأكبر محمود شلتوت ط دار الشروق ٢٠٠٤م.
١٢-الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبى ط الثانية ٢٠٠٩م.
١٣-الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعى تحقيق الشيخ أحمد شاكر ط المكتبة العلمية – بيروت – لبنان.
١٤-زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ط دار الفكر العربى للطباعة والنشر والتوزيع ط ٢٠٠٩م.
١٥-سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للإمام محمد بن إسماعيل الصنعانى مكتبة الإيمان.
١٦-سنن ابن ماجه لأبى عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى مكتبة الصفا ٢٠١٤م.
١٧-سنن ابى داود سليمان بن الأشعث السجستانى ط دار الفجر للتراث ٢٠١٠م.
١٨-سنن الترمذى لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى ط دار الفجر للتراث ٢٠٠١م.

١٩-سنن النسائى لأحمد بن شعيب بن على ط دار الفجر للتراث ٢٠١٠م.
٢٠-شرح الأصول من علم الأصول للشيخ محمد صالح العثيمين ط دار العقيدة ٢٠٠٢م.
٢١-شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى ط المكتب الإسلامى ١٩٨٨م.
٢٢-شرح الفقه الأكبر لأبى حنيفة النعمان الملا على بن سلطان مكتبة الإيمان.
٢٣-صحيح الإمام البخارى طبعة منقحة على عدة نسخ المكتبة التوفيقية.
٢٤-صحيح الإمام مسلم طبعة جديدة منقحة مكتبة الصفا ط٢٠٠٤م.
٢٥-صفوة التفاسير للشيخ محمد على الصابونى ط دار الصابونى.
٢٦-عقيدة المؤمن لأبى بكر الجزائرى مكتبة الرحاب ط ٢٠٠٦م.
٢٧-علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ط دار الحديث.
٢٨-عون المعبود شرح سنن أبى داود لأبى الطيب محمد شمس الحق العظيم أبـــادى ط دار الحديث ٢٠٠١م.
٢٩-فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الـــشيخ ط دار الحـــديث ١٩٩٩م.
٣٠-القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادى ط دار ابن الجوزى ٢٠١٥م.
٣١-قصص الأنبياء للإمام ابن كثير ط المكتبة التوفيقية.
٣٢-قواعد الأحكام فى مصالح الأنام للعز بن عبد السلام ط دار البيان العربى ٢٠٠٢م.
٣٣-القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه أ.د. محمد بكر إســـماعيل ط دار المنـــار للنـــشر والتوزيع ١٩٩٧م.
٣٤-لباب النقول فى أسباب النزول للإمام السيوطى ط مكتبة الصفا ط ٢٠٠٢م.
٣٥-مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفى ط دار الكتب العلمية ٢٠٠١م.
٣٦-مذكرة فى أصول الفقه لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى ط دار العلوم والحكـــم ٢٠٠٤م.
٣٧-المستصفى فى أصول الفقه للإمام الغزالى ط مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ١٩٩٩م.
٣٨-المصباح المنير لأحمد بن محمد بن على الفيومى مكتبة لبنان ناشرون
٣٩-مفاتح الغيب للإمام الرازى ط دار الكتب العلمية ١٩٩٠م.

٤٠- المفردات فى غريب القرآن لأبى القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصـــفهانى ط دار الخلود للتراث.
٤١- موسوعة الفقه الإسلامى المعاصر لكبار العلماء ط دار الوفاء للطباعة والنشر ٢٠٠٥م.
٤٢- الموطأ للإمام مالك بن أنس ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى ط دار إحياء الكتب العربية.
٤٣- الوجيز فى علم أصول الفقه لعبد الكريم زيدان ط دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٩٩٣م.